الشعب الانكليزي والشعب الاميركي لان لغتهما واحدة وتقاليدهما واحدة وعمرانهما واحد وكل منهما ضروري للآخر واذا اتحدا وانضما الى المحالفة الثلاثية وتيا املاكهما من اعتداء الشعوب الاسيوية واضطرت المحالفة الثلاثية ان تذعن لمشيئتها وتجيبها الى تقليل المعدات الحربية وحفظ السلام في العالم . انتهى

اصول التعليم الحديث

الدور الاجتماعي

ذكرنا في الدور السيكولوجي ان القائمين به اخذوا على عاتقهم ترقية الافراد غير ناظرين الى الجماعات . واما الدور الاجتماعي فاخذ يهتم بترقية الافراد كاعضاء من المجتمع لان ترقية الفرد وحدهُ لا تفيد المجموع الفائدة المطلوبة معاشياً واجتماعياً وسياسياً . و بديهي ان من الافراد يتكون المجتمع فمتى تهذب كل فرد تهذب المجتمع ولذلك جعلت المدارس اهمية كبيرة لانتقاء المواضيع التي تدرس فيها بناية عليها كل تقدم ونجاح يمكن حصولهُ للافراد كاعضاء في المجتمع الانساني . وعليهِ فكل درس يلقى على التلامذة ولا يفيدهم في حياتهم ولا يوسع مداركهم لا فائدة منهُ البتة بل يعد خسارة كبيرة لا يمكن ان تعوض

من يتصفح كتب بستالوتسي وفروبل وهربرت يجد ان الوجهة الاجتماعية كانت ظاهرة فيها غير انهم صرفوا معظم قواهم في ترقية اساليب التعليم وجعلها مفيدة للتلميذ ليتسنى لهُ افادة غيرهِ . وهذا واضح من ان بستالوتسي نفسهُ ضحّى حياتهُ في تعليم الفقراء ليمكنهم ان ينهضوا و يكافحوا في ميدان العالم . وكذلك هربرت فانهُ نظر في تعاليمهِ الى امرين . الاول « الغاية » والثاني « الموضوع » . وعلاقة هذين الامرين في الهيئة الاجتماعية قائمة على الاخلاق الامر الذي تاصل عنهُ في كل كتبهِ لان الرجل اذا كان ذا اخلاق رضية ومحايا حميدة استطاع ان يكيف نفسهُ و يملك ارادتهُ ليسلك في الهيئة الاجتماعية السلوك المستقيم . و بدون ذلك لا يستطيع البقاء لان المحيط الذي يكون فيهِ يفعل بهِ و يكيفهُ بحسب ارادتهِ وكان قصد هربرت ان يُظهر امام التلميذ مظاهر الحياة المختلفة و يبين لهُ ما حدث في الازمنة الماضية وما يمكن حدوثهُ في الازمنة المستقبلة ليقيس المستقبل على الماضي فيجتنب ما يراهُ ضاراً و يتخذ ما يجدهُ مفيداً . ومتى ظهرت الحياة بتمامها يفهم معنى الهيئة الاجتماعية حق الفهم فيكيف نفسهُ للسلوك فيها بحسب ما استفادهُ من المظاهر المختلفة التي تجلت امامهُ .

واما فروبل فقصد في تعاليمه ان يجعل المدرسة عالماً صغيراً او حياة مصغرة فيرى التلميذ ضمن دائرتها الضيقة ما يراه في ميدان العالم الواسع ويشاهد هناك من الاختبارات ما يشاهده بعد خروجه منها ويمر عليه من التجارب وهو بين جدرانها ما يمكن ان يمر عليه منها بعد ان يخالط الجمهور. غير ان ذلك يكون بصورة مصغرة حتى اذا خرج الى العالم لا يرى فيه شيئاً جديداً فلا توقعه اقل صدمة ولا يجزع عند ما تنتابه الحوادث ولا يضطرب لاقل مكروه

الوجه الاجتماعي في الدور العلمي

يتفق العلماء الطبيعيون مع الاجتماعيين في ان المواضيع التي تعلم في المدارس يجب ان تكون مفيدة للجمهور فهم يخالفون بذلك العلماء الذين يقولون بوجوب تمرين العقل على مواضيع صعبة يقصد منها شحذ القوى العقلية وتهذيبها فقط كدرس اللغة اللاتينية واليونانية والسنسكريتية والدروس العالية في الرياضيات. فعلماء الطبيعة والاجتماع يقاومون ذلك لانهم لا يرون اقل فائدة يجتنيها التلميذ من درس امور لا تعود عليه بشيء من المنفعة بعد ان يخرج من المدرسة مع ان القصد من التعليم هو الفائدة العملية وهذه يجدها في الدروس الطبيعية التي تنزع من رأسه كل الاوهام والخزعبلات وتعوده الافتكار الصحيح والبحث عن العلل والاسباب وتبعده عن كل ما لا يسلم به العقل قط. وزد على ذلك فان سبنسر واعوانه قصدوا من التعليم افادة الجمهور لا الخاصة فقط

آراء السياسيين وقادة الرأي العام في التعليم

كانت الشعوب الجرمانية اول من انتبه لوجوب تعليم جميع طبقات الامة على السواء من حيث علاقتها بالحكومة فبينوا ان بين الحكومة والامة علاقات من حيث المعاش والسياسة والاجتماع وانهما يجب ان يسيرا جنباً الى جنب لاجتناء ثمرات المنفعة المشتركة بينهما. فالامة وحدها لا تستطيع ذلك اذا لم تساعدها الحكومة ولا الحكومة اذا تخلى عنها الشعب. ولم ينتبه الناس لهذه العلاقات الا في اوائل القرن الثامن عشر ولذلك قال فردريك الكبير «يجب على الحكام ان يشتغلوا لفائدة الامة الحقيقية في جميع طبقاتها» اما في اميركا فقد كان التهذيب الديني المحور الذي دارت عليه الاراء التهذيبية في اوائل نهضتها والسبب في ذلك ان النازحين اليها كان جلهم من الطائفة البيوريتانية وهي الطائفة التي وقع عليها الاضطهاد في انكلترا بسبب آرائها الدينية وبقي هذا الميل شائعاً هناك حتى قام فرنكلين فنظر الى التعليم كما نظر غيره من الفلاسفة قبله فقال ان الفرد يجب ان يهتم بترقية ذاته بذاته من دون ان يهتم بغيره. ولما قام وشنطون جاهر ان الامة كلها يجب ان تنال حظاً

وافراً من العلم ولذلك قال في بعض رسائله التي بعث بها الى مجلس الامة: « ان المعرفة في كل بلاد هي الاساس الثابت لسعادة الامة » ومن اقواله ايضاً « ان المدارس شموع تستنير بها الشعوب » وقال جفرسون مؤسس الحزب الجمهوري والرئيس الثاني للولايات المتحدة بعد وشنطون « ان التعليم هو الحامي الوحيد للجمهورية ولذلك فان من واجبات الحكومة ان تسعى اليه وتأخذ على عاتقها القيام به باذلة كل ما في وسعها لترقيته » وقال مديسون وهو الرئيس الرابع للولايات المتحدة « ان الحكومة الديموقراطية بدون مدارس عمومية هي مقدمة لرواية هزلية او لمأساة او لكليهما وكيان الحكومة يتوقف على المعرفة الشاملة لجميع طبقات الامة »

التعليم هو المعد للمدنية الصحيحة

كان الرأي القديم مبنياً على تقوية مدارك الانسان واصلاح عاداته وايجاد مبادىء جديدة فيه حتى يمكنه ان ينجح في ميدان العمل واما الرأي الحديث فقائم على ان المصلحة العامة والسعادة تتوقفان على العلاقات التي بين الواحد والآخر والجماعة الواحدة والاخرى . فالتعليم هو الذي يوضح مبادىء هذه العلاقات ويمكّن الانسان من ان يكيّف نفسهُ تكييفاً صحيحاً ليعرف الحالات الاجتماعية التي هو فيها ولذلك فان من الضروري للمتعلم ان يدرك هذه المبادىء ادراكاً تاماً وتكون فيه الارادة القوية لتكييف نفسه . وللوصول الى ذلك كان لابد للعلماء من ان يهدموا جانباً كبيراً من تعاليم روسو السائدة في ذلك الوقت والمناقضة لروح الاجتماع من هذه الجهة . وكانت نتيجة هذا الرأي الحديث ان صارت الحكومات مسيطرة على المدارس ومسؤولة امام الشعب عنها فجمعت لها الاموال من الامة لتعلم بها ابناءها على السواء غير جاعلة فرقاً ولا تمييزاً بين اولادها

مقام التعليم في الامور الاجتماعية

قال لستر ورد ان العواطف تجهز القوة الدافعة واما القوة العاقلة فهي المرشد لكي لا تضل القوة الدافعة . فالبخار في القطار الحديدي هو الذي يدفع القطار الى الامام والخطوط الحديدية هي المرشد لكي لا يضل القطار في طريقه وعلى الهيئة الاجتماعية ان تجهز كل عضو بتعليم كاف حتى تعمل عواطفهُ كل ما يكون فيه الخير للهيئة الاجتماعية . كانت الحكومة في الرادع الاول للانسان عن السلوك في سبيل الشر فالسارق مثلاً يمتنع عن السرقة لانهُ يخاف من ان يقع في قبضة الهيئة الحاكمة . ثم جاءت الديانة بشعائرها ورسومها ووعدها ووعيدها فصار السارق يخاف من نار جهنم . ثم جاءت المدرسة فقام المعلم مقام الشرطي وخادم الدين واظهر للتلميذ ان السرقة تعود عليه وعلى الهيئة الاجتماعية بالويل والثبور فيجب

ان يبتعد عنها لا خوفاً من عقاب الحكومة ولا من نار جهنم بل لان السرقة تحط من مقامه كانسان في الهيئة ولا يخفى ما في ذلك من طرق الاقتصاد والتوفير

التعليم هو المبقي المنمي — من واجبات التعليم ان يبقي ويغني زبدة الاختبارات التي حصلها السلف بالجد والسعي ويهديها الى التلميذ منقحة ممحصة ليستطيع ان يكيف نفسهُ في ذلك المحيط المتغير ويهب لمن يأتي بعدهُ نتيجة اختباراته ايضاً وعلى هذا يتوقف بقاء الحياة كما هي. فنهر النيل مثلاً يجلب معهُ في مياهه كل سنة غذاء كافياً لتربة مصر غير ان هذا الغذاء لا يكفي اذا لم يجلب كل سنة غذاء جديداً يختلط مع القديم ليزيد في كمية الغذاء وهكذا الانسان فان ارشادات اسلافه الماضين ضرورية لهُ غير انهُ لا يكتفي بها بل يجب ان يزيد عليها. فبقاؤنا اذاً كما كان طبقاً اسلافنا هو عين الانحطاط والجمود واكبر مانع يمنع الانسان من التقدم

العلم هو اسمى درجة في نشوء الهيئة الاجتماعية — فكما ان الحيوان مقيد بنواميس طبيعية في الانتخاب الطبيعي وهذا الانتخاب يعدهُ للعيشة في محيطه هكذا التعليم في العالم الاجتماعي يضارع الانتخاب الطبيعي ويعد الانسان للعيشة في المحيط الاجتماعي. فالتعليم اذاً هو الذي يكيف الانسان تكييفاً اجتماعياً ويعدهُ للعيشة في الهيئة كانسان يفهم ما عليه وما لهُ من الحقوق والواجبات الاجتماعية

فضل الجمعيات على التعليم

لا ريب في ان الجمعيات الخيرية كانت اول من شاد المدارس وفتح ابوابها للطلبة ولكن لما ارتقت الحكومات عرفت ان هذا حق من حقوقها وواجب من واجباتها فوضعت ادارة المدارس في يدها وقامت بذلك حق القيام. ولقد كان فرانكا Francke في المانيا اول من وضع نظام المدارس المعروف « بنظام المدارس الحقيقية » (Real-Schule) وهي المدارس التي تعلم فيها الدروس العملية كالطبيعيات والهندسة العملية والكيميا الخ. وقد ابتدأ بهذا النظام في مدرسته التي شادها في هلا Halle للايتام سنة ١٦٩٤ وتبعهُ في ذلك باسدو وقد تقدم ذكرهُ

ومن الذين اشتغلوا بهذا النظام فلانبرج سنة ١٨٠٦ — ١٨٤٤ فانهُ رأى البون الشاسع بين الخاصة والعامة في العلم فقرّب بينهما بان علّم العامة العلوم العقلية والخاصة العلوم اليدوية — اي الصناعية — جاعلاً للعلوم اليدوية الاهمية الكبرى في التعليم وقائلاً ان لا حطة ولا مذلة لمن يشتغل بيديه

النظام المعروف « بنظام العرفاء » الذي استنبطهُ بل Bell وانكستر سنة ١٧٧٨ – ١٨٣٨

استطاع لنكستر ان يدير الف تلميذ بواسطة العرفاء على نحو ما كان عليهِ التعليم في بلادنا في اول امرهِ وقد اضطر لنكستر الى ذلك لانهُ رأى قصوراً من جانب الامة والحكومة والكنيسة . وقد ساعد هذا النظام مساعدة كبيرة في ترقية شؤون المدارس في بداية امرهِ غير انهُ كان سطحيًّا وتقليديًّا فانتقدهُ الكثيرون ثم اهمل لعدم الاحتياج اليهِ

مدارس الاطفال وهي غير بساتين الاطفال (الكندركاردن)

منشىء هذه المدارس فريس فرنساوي سنة ١٧٦٩ وهي اصل المدارس الابتدائية في اميركا التي انشئت سنة ١٨٢٤

الجمعيات التي قامت لنشر التعليم بين الجمهور

دخلت سنة ١٨٠٥ ولم يكن في اميركا مدارس مجانية سوى بعض المدارس الدينية فلما رأى رئيس بلدية نيويورك ذلك الف لجنة لجمع اموال تنفق في تعليم الفقراء مجانًا وسنة ١٨٥٣ ابتدأت المدارس العمومية الحقيقية وانقضى عمل الجمعيات الخيرية واخذت الحكومة على عاتقها امر التعليم

نظامات الحكومة

ابتدأت هذه النظامات في البلاد التي كانت فيها الكنيسة والحكومة متفقتين معًا ولكن المانيا سبقت جميع حكومات اوربا في ذلك وكان اول من جعل التعليم الزاميًا فردريك الكبير وهو الذي شاد مدارس المعلمين واعطى الحرية الدينية في التعليم . وفي سنة ١٧٩٤ سن قانونًا يقضي بان كل المدارس دينية كانت او مدنية يجب ان تكون تحت مراقبة الحكومة وقد قاوم الاكليروس هذا القانون بكل قواهم . ولما كانت الحكومة هي التي تعين المعلمين صارت تحسبهم من موظفيها ولم يعد معلم يترك وظيفتهُ لمجرد اعتقادهِ الديني . وكانت النتيجة من كل ذلك ان جعلت التعليم الابتدائي مجانيًا وحسنت اساليب التعليم ووضعت حدًا لتداخلات الاكليريكية

وابتدأ التعليم العام في فرنسا بعد طرد اليسوعيين منها سنة ١٧٦٤ وظهر من الاحصاءات ان الاميين في زمن الثورة كانوا خمسين في المئة من الرجال وخمسة وسبعين في المئة من النساء وقد كان من مبادىء الثورة ان يكون التعليم عامًا والزاميًا ومجانيًا ولكن الفرنسويين لم يصلوا الى هذه الغية حينئذٍ لان الحكومة لم تكن راسخة على اساس ثابت

متين و بقيت كذلك الى سنة ١٨٣٣ حتى انتخب جيزو Guizot ناظراً للمعارف في فرنسا فاسس مدرسة مجانية ابتدائية للفقراء في كل بلدة وسنة ١٨٨٢ صار التعليم الزاميا وفي سنة ١٩٠١ صدر القانون القاضي بان كل المدارس الدينية يجب ان تأخذ رخصة من الحكومة . وفي سنة ١٩٠٣ اغلقت كل المدارس الدينية تقريباً

النظامات في انكلترا

ابتدأت المجادلات بين اعضاء البرلمنت من سنة ١٨٣٣ في « هل يجوز للحكومة ان تتدخل في امر التعليم » وبعد مناقشات عديدة قر الراي على انهُ يجب على الحكومة ان تمد يد المساعدة للمدارس . وفي سنة ١٨٨٠ سن القانون القاضي بالزام كل تلميذ بالبقاء في المدرسة حتى يبلغ العاشرة من عمره وسنة ١٩٠٠ صدر قانون يقضي عليهِ بان يبقى الى السنة الرابعة عشرة من عمرهِ

النظامات في اميركا

ابتدأ نظام الحكومة في انكلترا الجديدة في القرن السابع عشر ولم يدخل القرن الثامن عشر حتى كان كاملاً وقد كان لهرسمان Hornoeman فضل عظيم على التعليم العام في اميركا لانهُ هو اسس المدارس لتعليم المعلمين وزاد في ايام السنة المدرسية ووسع نطاق التعليم واخذت الجمعيات الخيرية تهب الحكومة كل ما تقدر عليهِ من الاموال لانفاقها في ترقية التعليم . وفي سنة ١٨٦٧ الغيت الرسوم في المدارس العمومية في نيويورك . وتقسم المدارس العمومية في اميركا الى ثلاثة اقسام وهي الابتدائية والثانوية والعالية والحكومة تقوم بنفقات الجميع غير ان التعليم العالي في بعض الولايات الشرقية يكلف التلميذ نفقات كثيرة على ضد ما هو عليهِ في الولايات الغربية

النهضة الصناعية

كان اساس هذه النهضة التوسع في الحركات الحربية والبرهان على ذلك ان المدارس الاولى التي انشئت لهذه الغاية اقامتها النظارات الحربية . وقد كانت النمسا السابقة في هذا الشأن فاول مدرسة شيدت فيها كانت سنة ١٧٤٧ ثم تبعتها فرنسا سنة ١٧٤٩ والمانيا ١٧٦٤ واميركا سنة ١٨٠٢ ثم انكلترا . فمن هذه المدارس خرجت الصنائع وفيها نمت وكانت الغاية التعليمية منها ان تجعل الفرد ينفع نفسهُ معاشياً ومادياً ويتدرج الى منفعة غيرهِ

ولقد كان سيف اول الامر درس التاريخ وقوانين الحكومة من اهم الدروس التي تجعل الانسان مدنياً اما اليوم فقد وضعوا معها علم الصناعة ذلك لان القوة القابضة على زمام

الاحكام وسير القوانين وترقي الشعوب هي القوة الاقتصادية فلا حرب ولا تجارة ولا علم ولا فتوح اذا لم تكن مبنية على علم الاقتصاد وليست الحروب في ذاتها الاَّ حركة تجارية يقصد بها ترقي الصناعة وترويج البضاعة ونرى اليوم ان المانيا وفرنسا وانكلترا واميركا سائرة على هذا النحو والمانيا هي قائدة الجميع باعداد رجال اختصاصيين لاعمال خصوصية · فيظهر من كل ما تقدم ان الدافع الاكبر لهذه الحركة هو الدافع السياسي الاقتصادي ولكن الضلع الاقتصادي هو الغالب كما تقدم

بولس شحاده

تعليم الصغار

الطريقة المونتسورية

لاهل الغرب عناية شديدة بامر التربية خصوصاً تربية الصغار · فاذا توفق احد الى طريقة للتربية تفوق غيرها اشتهر اسمهُ بينهم كما يشتهر اسم من يخترع اختراعاً نافعاً او يؤلف كتاباً نفيساً

وقد قام فيهم امثال لروبل وبستالوتسي وكثير غيرهما من الذين خلد التاريخ اسماءهم لاشتهارهم في التعليم كما ترى في مقالة اخرى منشورة في هذا الجزء ومقالات مثلها في الاجزاء السابقة · ومنذ عهد قريب قامت في رومية سيدة ايطالية اشتهرت بطريقة خاصة بها لتعليم الاولاد وثبت نفع طريقتها بالتجربة فاسرعت بعض الامم الى اقتبلها لكي لا يفوت صغارهم شيء من اسباب التعليم والتهذيب · ورأينا ان نصف هذه الطريقة لعل من يعنيهم امر تربية الصغار يعيرونها الالتفات اللازم وينتفعون بها

واضعة هذه الطريقة ماريا مونتسوري سيدة ايطالية ولدت سنة ١٨٧٠ وتلقت دروسها العالية في جامعة رومية ونالت منها رتبة دكتور في الطب سنة ١٨٩٤ · ثم عينت في تلك الجامعة معاونة للطبيب الذي يعالج الامراض العقلية فاشتدت رغبتها في العناية بالبنات · وسنة ١٨٩٨ عقد في مدينة تورين مؤتمر للبحث في ما يتعلق بالتربية والتعليم فالقت فيه خطبة اعجب بها السنيور بارتشلي ناظر المعارف فسألها ان تلقي خطباً على المعلمين في مدينة رومية · وكانت نتيجة خطبها ان انشئت مدرسة خاصة للبنات وجعلت هي رئيسة لها · فتكللت اعمالها بالنجاح وتمكنت من تعليم البنات وتهذيبهم وحملها نجاحها هذا على الحكم ان في طرائق التعليم المتبعة

في المدارس التي يعلم فيها الصغار نقصاً بيناً . فكان يؤتى اليها بالبله من البيمارستانات فتربيهم وتعلمهم فلا يلبثون ان يجاروا ذوي العقول السليمة الذين من سنهم ويجتازوا الامتحانات معهم جنباً الى جنب . وقد قالت مرة « بينما كان الناس يعجبون بنجاح البله الذين كنت اعلمهم كنت انا اتساءل في نفسي عن الاسباب التي تمنع الاولاد ذوي العقول السليمة عن التفوق على البله » . وقام في نفسها ان السبب هو ان البله في مدرستها كانوا يُعلَّمون بطرائق تساعد عقولهم في نموها بينما كان ذوو العقول السليمة يُعلَّمون بطرائق تعيق نموهم العقلي وانهُ اذا استُعملت طريقتها لتعليم ذوي العقول السليمة اتت بنتائج احسن من النتائج التي تأتي بها في تعليم البله

فعقدت نيتها على البحث لتعلم منزلة رأيها من الصحة . وسنة ١٩٠٠ تركت مدرسة البله وصرفت همها الى تعليم ذوي العقول السليمة . فعادت الى جامعة رومية وانتظمت في سلك طلبة الفلسفة واعتنت بالابحاث العملية في علم النفس وكانت اثناء ذلك تختبر التعليم العملي في المدارس الابتدائية

وبعد اختبار التعليم ودرس طبائع الاولاد بضع سنوات ثبت لها ان طرائق التعليم يجب ان ترمي اولاً الى جعل الولد يتعلم ويكتشف الحقائق لذاته . وان نمو عقله يجب ان يسير في السبل التي يرشدهُ اليها فهمهُ وامياله الطبيعية لا ان يكون في ذلك عبداً يتبع مشيئة معلمهِ . واجتهدت لتجد طريقة للتعليم يقوم فيها عقل الولد بتكييف الطرق التي يجب ان يسير فيها نموهُ من دون ان يخبرهُ معلمهُ ما يجب عليهِ ان يعملهُ

وسنة ١٩٠٧ عرضت لها فرصة لاخراج فكرتها الى حيز العمل وذلك ان المضاربين اكثروا من البناء في احد احياء المدينة واخذوا يتبارون في تشييد البيوت الجميلة الكبيرة مؤملين ان ذوي اليسار يقبلون على السكن فيها ولكنهم ما عتموا ان رأوا فساد ظنهم واضطروا ان يؤجروا مبانيهم للعمال والفقراء . ولم يمضِ وقت طويل حتى امسى ذلك الحي مجمع الاقذار والفقر والشقاء . فتألفت جمعية من اهل الفضل في مدينة رومية لتخفيف وطأة الفقر عن الساكنين فيهِ واصلاح حالهم وخصت هذه الجمعية احد فروعها بالاعتناء بتربية الصغار الذين بين الثالثة والسابعة من العمر . فرأى هذا الفرع ان ينشيء المدارس لهذا الغرض وسلم زمام ادارتها وتدبيرها للدكتورة مونتسوري فادخلت طريقتها الجديدة اليها . وحتم على كل من معلمات هذه المدارس ان تسكن بالقرب من العائلات التي تعتني باولادها

والمبدأ الاساسي في الطريقة المونتسورية هو ان يحصّل الولد المعارف بنفسهِ كما تقدَّم لا ان يتلقاها من معلمٍ ولا تعيَّن فيها اوقات مخصوصة لالقاء الدروس ولا دروس مخصوصة ليتعلمها الاولاد كل يوم ولا تتبع فيها الطرق المتبعة في المدارس كجزاءة الشيء والمهمل ومكافأة المجيد والمجتهد . وكل ما يعوّل عليهِ فيها لاجل دفع التلميذ الى العمل وترغيبهِ فيهِ هو السرور الذي يخالج صدر من ينجح في اتمام عملهِ . وقد وصف بعضهم هذه الطريقة فقال ان « كل ولد يعمل ما يرونهُ . يدخل المدرسة فيرى الاولاد متفرقين جماعات جماعات وكل جماعة تلعب لعبة فينضم الى الجماعة التي تجتذب نظرهُ وتستميل عقلهُ ويبدأ عند ذلك تعلمهُ وتهذيبهُ . والالعاب التي يلعبها الاولاد كثيرة فكلما تعب الولد من لعبة تركها وعكف على غيرها والمعلمات يراقبنهُ ويساعدنهُ حيث لا بد لهُ من المساعدة . وهو لا يمكث بلا عمل ابداً لانهُ يجد لذة وسروراً في كل ما يعمل »

« ويجعل في الغرف التي يكون فيها الاولاد كراسي صغيرة خفيفة يسهل عليهم حملها ونقلها من مكان الى آخر وتبسط في ارضها البسط لكي يجلسوا عليها متربعين او راكعين او متكئين حسبما يلوح لهم . ويؤتى اليهم بوائد واطئة خفيفة ويترك قسم من الغرف عاري الارض خالياً من الاثاث لكي يكونوا فيهِ احراراً لا يعيقهم شيء في متابعة العابهم »

وقد اخترعت الدكتورة مونتسوري ادوات لعب كثيرة وجعلتها مما يشحذ عقول الاولاد ويوسع مداركهم . وهذه الادوات ركن مهم في الطريقة المونتسورية ويصعب وصفها بالكلام

واول ما توجهُ العناية اليهِ ترقية حواس اللمس والبصر والسمع ويتذرع الى ذلك بالعاب عديدة ثم باستمالة انتباه الولد الى ربط كل شيء باسمهِ وصورتهِ العقلية . فيعطى عند غسلهِ يديهِ مثلاً ماء بارداً ثم ماء سخناً وينبَّه الى التمييز بين الاثنين فيدرك الفرق بينهما . ويمرن على التمييز بين الخشونة والنعومة باعطائهِ انواعاً من الكرتون بعضها خشن وبعضها ناعم لكي يفرقها بعضها عن بعض . وكلما ادرك صفة من هذه الصفات عُلِّمَهُ الكلمة التي تعرف بها مثل بارد وسخن وخشن وناعم الى غير ذلك . فيبدأ بتعلم اللغة قبل ان يبدأ بتعلم الكتابة والقراءة . ويعلَّم الاولاد الفرق بين الاشكال بقطع من الخشب تختلف شكلاً وحجماً فيأخذون كلاً منها ويضعونها في فراغ قد اعد لها لا يلتئم مع غيرها اذا وضع فيهِ . وكذلك يعلمون الالوان بقطع الخشب الملونة وخرق من الحرير يرتبونها على طرق تجيء فيها الالوان متلائمة بعضها مع بعض بحيث تراح العين الى النظر اليها . وتمرن حاسة اللمس فيهم بلعب بعض

الالعاب وهم معصوبو العيون وحاسة السمع بالغة في الظلام كأن يوضع بين ايديهم حجارة مختلفة الوزن فيدحرجونها على الارض و يرتبون الاثقل فالاثقل لان الحجر الثقيل اذا تدحرج كان لهُ صوت قوي اما الحجر الخفيف فلا يأتي الاَّ بصوت خفيف . وتروَّض ارجلهم وايديهم واصابعهم على القيام بما يطلب منها من الحركات بترتيب الاثاث والادوات التي تطلق لهم الحرية في استعمالها وترتيبها على ما يروقهم و ببعض الالعاب كربط العقد وحلها وتبكيل الازرار وفكها ولبس الثياب وخلعها و بقيام بعضهم على خدمة البعض الآخر عند تناول الطعام وعلى غسل انفسهم الى غير ذلك. فهذه الاعمال كلها تتقدم الكتابة والقراءة وتسهل الطريق اليهما

وتُعلَّم الكتابة قبل القراءة انما يجب الاحتراس في فهم المراد بالقراءة في هذا المقام . فيلعب الاولاد بعض الالعاب بحروف من ورق السنباذج ملصوقة على الواح من الكرتون فيأخذ الواحد منهم الحرف و يمر اصبعهُ عليهِ من اولهِ الى آخرهِ فيكون قد قام بالحركة اللازمة لكتابة ذلك الحرف من دون ان يدري انهُ يتعلم الكتابة . وتعطى لهم حروف قد رسمت على الورق فيلونونها فترسخ صورها في اذهانهم . واذا تعلَّم الولد اصوات الحروف واشكالها تدرَّج الى بناء الكلمات منها . وقد قال المستر هولز مفتش المعارف بانكلترا ان الاستعداد للكتابة على هذه الطريقة لا يستغرق اكثر من شهر ونصف من وقت الاولاد الذين عمرهم اربع سنوات فاذا انقضت مدة الاستعداد بدأ الولد بكتابة الكلمات البسيطة التهجئة بالحبر ولا يأتي عليهِ ثلاثة اشهر وهو يتمرن على الكتابة الاَّ ويصبح خطهُ جميلاً

ويتدرَّج بعد ذلك الى القراءة فلا تكون قراءتهُ التلفظ بالكلمات التي يكتبها هو نفسهُ بل قراءة كلمات مطبوعة او مكتوبة بخط غيرهِ . واذا كانت اللغة من اللغات التي يتلفظ فيها بجميع الحروف التي تكتب بها الكلمة كاللغة الايطالية والعربية سهل الامر جدًّا ولم يبطىء الاولاد في تعلم القراءة . و يؤتون بكلمات مكتوبة على بطاقات فيشارون في معرفة الاشياء التي تدل عليها تلك الكلمات ثم يتدرجون من المفردات الى الجمل كأن تكتب الجملة على لوح اسود كبير اسئلة واوامر تتعلق بالالعاب

وقد نجحت هذه الطريقة نجاحًا غريبًا حتى قيل عن ولد لا يزيد عمرهُ على ثلاث سنوات ونصف سنة انهُ صار يكتب و يقرأ الكلمات بالانكليزية والايطالية من غير ان يشعر انهُ كان يعمل عملاً غير اللعب . وقد يقال ان هذا من الشذوذ التي لا يقاس عليها ولكن

المستر هولمز الذي دقق البحث في تعليم الصغار على هذه الطريقة لا يرى اقل غرابة في ان يتعلم الاولاد الذين لا يزيد سنهم على سن هذا الولد الكتابة والقراءة بل لا يرى في ذلك من الغرابة اكثر مما يرى في تعلمهم المشي والحكي . اما تعليم الحساب فيبدأ به بالعاب لا بد فيها من العد واستعمال بعض الادوات المعدة لهذا الغرض

ولم تجرب بعد الطريقة المونتسورية الا في تعليم الاولاد الذين لم يخرجوا من طور الطفولة ولكن يؤمل لها نجاح كبير في تعليم الاولاد الذين يزيد سنهم على ذلك . وقد بدأت الدكتورة مونتسوري بتجربة ذلك اخيراً . وقد كانت همتها منصرفة الى اظهار ما لطريقتها من المزايا واقناع المعلمات باتباعها في تعليم الاطفال الذين ثبت نفعها في تعليمهم . ولما رأت نجاح طريقتها في تعليم الاطفال الذين بين الثالثة والسابعة من العمر قالت « قد مضى عصر المعلمات القديمات اللواتي يصرفن قوتهن في حفظ النظام بين الاولاد وتسكين اضطرابهم ويتعبن انفسهن بالقاء الدروس بصوت عالٍ وكلام كثير . فقد استغنينا عنهن بالادوات التي يتعلم الولد باللعب بها والتي تدربه على اجتناب الغلط وتسهل عليه تعليم نفسه . فليس على المعلمة بعد الآن الا ان تتولى ادارة العمل الذي يعمله الاولاد انفسهم وتبقى ساكتة »

وقد قال المستر هولمز بعد ان عني بنشر هذه الطريقة « ان المعلمة تعمل في المدارس العادية على لجم ما في الاولاد من الميل الشديد الى الحركة وعلى ضغط قواهم التي لا يقدرون على ضبطها فيكون هذا الضغط باعثاً لهذه القوى على التحرك والظهور . اما في المدارس التي تعنى بتشغيل قوى الاولاد كل الوقت بما يشعرون معهُ بالسرور فلا تبقى حاجة الى الضغط والتأديب . وفي المدارس المونتسورية تطلق للولد الحرية ليأتي ما يشاء من الاعمال على شرط ان لا يضر بغيره ولا يقلقهُ وما دامت قواهُ مصروفة الى عمل يلائمها يبعد ان يجيء عملاً يضر بغيره او يعكر صفاءهُ او ان يصير مصدر تعب واقلاق للمدرسة كلها

« وفي المعلمين والمعلمات ثلاث عادات سيئة الاولى انهم يبادرون الى اخبار الولد بالكيفية التي يجب ان يجري عليها في كل عمل جديد لم يعملهُ من قبلُ . والثانية انهم يسرعون الى اعانته اذا رأوهُ قد وقف عند صعوبة في العمل الذي سمح لهُ بتجربته . والثالثة انهم يصلحون لهُ اغلاطهُ عوضاً عن ان يتركوهُ ليصلحها بنفسه . اما المعلمون الذين يتبعون الطريقة المونتسورية فلا يأتون هذه الامور الا اذا مست الحاجة اليها . واذا اخذ الولد يعالج مسألة

أطفال يتعلمون حسب الطريقة المونتسورية مجلد ٤٣ صفحة ٤٤

جديدة لم يعالجها من قبل تُرك وحدهُ يعمل في حل صعوباتها كل ما أُوتي من القوى والحذق في تذليل الصعوبات »

والطريقة المونتسورية بناء جديد على مبادىء فروبل فقد اخذت الدكتورة مونتسوري المبدأ الرئيسي في طريقتهِ واضافت اليهِ طرائق جديدة بنتها على الحقائق التي قررها علم النفس الحديث . واثبتت انهُ اذا عومل الولد كما يجب ان يعامل واستعملت معهُ الوسائل اللازمة تنبهت فيهِ قوة داخلية للنمو العقلي بسرعة قلَّ من يشك فيها . وقد ثبت نفع طريقتها الآن ولكن بقي ان يعرف مقدار ما تقتضيهِ من الكفاءة في المعلم او المعلمة وكم من المعلمين والمعلمات ذوي الكفاءة يلزم للتعليم على هذه الطريقة وهل تقدر المدارس ان تحصل على العدد الكافي منهم . وزار المستر هولمز خمساً من المدارس المونتسورية فوجد واحدة منها في حالة غير راضية وثبت لهُ ان سبب ذلك هو جهل مديرة المدرسة بالطريقة المونتسورية التي لم تكن تعرف منها الاَّ بعض تفاصيل من غير ان تفهمها تماماً او ان ترى فيها ما يميزها عن غيرها . وعجز عن اصلاح تلك المدرسة ولم يرَ طريقة يداوي بها نقائصها الاَّ بتعطيلها واقفال بابها . فالمعلمون والمعلمات الذين يقدرون ان يتَّبعوا هذه الطريقة في التعليم قليلون جداً على ما يظهر

والمدارس التي تتبعها تزيد نفقاتها على نفقات غيرها . ففي المدارس العادية يكفي لكل ولد ٩ اقدام مربعة من ارض غرفة الدرس اما في هذه فيقتضي لهُ على الاقل ١٥ قدماً مربعة ليكون لهُ فسحة يلعب فيها وتسع الادوات اللازمة لهُ . ويلزم لما عدا ذلك ادوات كثيرة وخزائن تحفظ فيها هذه الادوات بطريقة تمكن الاولاد من تناولها عند حاجتهم اليها . ويجب ان يكون المعلمون والمعلمات فيها اكثر مما يكونون عادة في غيرها وان يكون اكثرهم ذا كفاءة مدرباً على التعليم . وقلَّ ان تقدر معلمة ان تعتني باكثر من ٢٠ ولداً مهما كانت مقدرتها وكفاءتها . ولكنهُ لا يرى مثل هذه الصعوبات في الجري على هذه الطريقة لتعليم الاولاد الذين يزيد سنهم على ست سنوات اذ يظن انهُ اذا تقدم الاولاد في السن زاد العدد الذي يمكن للمعلمة الواحدة ان تعتني بهِ منهم

هذا وقد اثبتنا في صدر هذه المقالة صورة منقولة عن مجلة عمل العالم وهي صورة غرفة من غرف تدريس الاطفال حسب الطريقة المونتسورية